الفصـــل الـــــرابع

النشـــر المعاصـــر للكتـــب العلميـــة

« مَا أعظمَ أن يَتبيّن المَرءُ اسمـــهُ ببُعـــدٍ- مُخـــترقـــاً
زُجـــاجَ جِـــدَار - بوَجـــهِ كِتـــاب بِأرفـــفِ مكتبـــةٍ
عِلميّـــةٍ عَريقَـــة! »

الفصل الرابع

النشـــر المعاصـــر للكتـــب العلميـــة

في عصر توفّرت فيه المراجع الورقية والإلكترونية في كافـة المعـارف الإنـسانية والتخصصات العلمية، ومع الإيمان بأهمية تطوير المناهج الجامعية بما يواكب العـصر، ومع تواضع إلمام الكثيرين بمفردات التأليف العلمي المعاصر للكتب في مجال التخصص أو الموضوعات الأخرى محل الاهتمام رغم قدراتهم العلمية، أضـحى لتوضـيح أسـس الكتابة العلمية المعاصرة أهمية في التأليف العلمي. وينير هذا الفصل الطريـق للتـأليف المتميز متكامل الأركان، من الفكرة حتى النشر، وذلك على ضوء خبرات المؤلِّف العملية في هذا المجال.

1. ماهية الكتاب

للكتاب ملامح أساسية يمكن إيجازها فيما يلي:

- ينصرف مدلول الكتاب إلى العلم والمعرفة والفكر المدون بالكتابة.
- مطبوع غير دوري لا تقل صفحاته عادة عن 50 صفحة بخلاف الغلاف وصفحة العنوان.
- قسم من الأعمال العلمية أو الأدبية يصدر بصورة منفصلة، وله مواصفات مادية ومستقلة، وقد يكون ترقيم صفحاته متّصلاً مع مجلدات أخرى.
- يحتوى على عناصر أساسية هي: الغلاف الخارجي، الغلاف الداخلي، أوائل الكتاب، متن أو نصّ الكتاب، الملاحق، الفهرس أو المحتويات.

2. الكاتب الناجح

للكاتب الناجح سمات رئيسة أهمها:

- أمانة العرض، وهي حجر الزاوية في كل جوانب الكتابة.

. صيد الأفكار وتسجيل الفوائد، بعمل مذكرة صغيرة لذلك مثلاً.
. كثرة القراءة والاطلاع.
. الثقة العالية بالنفس، والتركيز في العمل.
. توفر الوقت الكافي، والصبر على النقد والكتابة والتنقيح والمراجعة.
. الاقتصار على دائرة التخصص العام، بدءاً من التخصص الدقيق ثم العام ثم ما له علاقة وطيدة بذلك.
. الباعث الداخلي، وهو أمر يتفاوت من كاتب لآخر، فكلما كان هناك باعثاً داخلياً وانفعالاً وحماساً لفكرة الموضوع وحباً له، كان المؤلَّف ناجحاً بل وقد يرافقه الإبداع.
. استغلال الفرصة، كالتوقيت المناسب لفكرة الكتاب.
. تعلُّم مهارات البحث السريع الموجّه، ومهارات الكتابة ومعالجة النصوص على الكمبيوتر، وتحديد مصادر المعلومات وتخزينها، والتعامل مع قواعد البيانات بالشبكة الدولية للمعلومات.

3. الكتابة والتأليف

للتأليف بصفة عامة أهمية كبيرة، فبواسطته تزداد المعارف ثراءً، ويزيد رصيد المؤلف العلمي. لكن قد يبدو اقتحام هذا الحقل، لمن لا تجربة له، مهيباً مليئاً بالتـساؤلات حـول عناصر التأليف وأركانه.

ويحضرني هنا مقولة قديمة أُوردها كما هي، حيث تلخِّص ببراعة عناء التأليف ومنزلة المؤلفين وعائد اطلاع غيرهم على ما كتبوه: "ما من شك في أن الجادين من المؤلفين قـد تحمّلوا عناء التأليف، والمصنفين بذلوا كل غال من أجل جودة التصنيف، ليصرفوا عـن الطالب والقارئ الصعب والتعمية والتلبيس، فنالوا ما يستحقونه من مكانة حفظهـا لهـم التاريخ، ومنزلة ترسّخت لهم في القلوب. ومن أصلح الله شأنه واتبع سنّة سلفه من أهـل العلم والصلاح اتخذ سبيلهم له سبيلاً، وبات بين كتبهم ناهلاً، حتى يلذ بنعيم مـا تركـوه، ويغدو في المقام الذي أدركوه، فيعلو بذلك قدره، ويسمو به ذكره ..." (العجمي، 2011).

ويمكن القول بصفة عامة، أنه ربما يملك المرء الكثير من الأفكار ليكتبها فيفيد به نفسه وغيره، بل يمكن أن يكون لديه مَلَكة الكتابة ذاتها. لذا يجب البحث في الإمكانات الذاتية عن هذه القدرات والطاقات واستغلالها، خاصة حينما يكون حقل التخصص خصباً وذا أهمية علمية عالية.

3. 1. أغراض التأليف

من قديم الزمن، حصر العرب أغراض التأليف في ثمانية، لا يؤلّف عالم إلا فيها:

1. شيء لم يُسبق إليه فيخترعه "تأليف الابتكار".
2. شيء ناقص فيتمّه "تأليف التتميم".
3. شيء مغلق فيشرحه "تأليف الشرح".
4. شيء طويل فيختصره "دون الإخلال".
5. شيء مفرَّق فيجمعه "مسألة مشتتة أدلّتها في بطون الكتب".
6. شيء مختلط فيرتبه "تقدّم وتأخّر حتى يتّسق".
7. شيء أخطأ فيه مصنّفه فيُصلحه.
8. تعيين مبهم "تعيين موضع خفي أو حكمه خافية في مسألة"[1].

3. 2. اختيار الموضوع

من المفترض والضروري ألا يكتب المرء إلا فيما تمكّن منه. ومن ملامح التمكن: قراءة العديد من الكتب والأبحاث، وسعة الاطلاع والخبرات إجمالاً. كما إنه من الضروري وجود سبب وجيه للتأليف مثل وجود ثغرة "موضوع أو جزء من الموضوع لم يكتب فيه أحد"، أو أن الموضوع موجود لكن طريقة عرضه غير ملائمة، أو الكتابة في قضية حيّة.

---

(1) تم ترتيبها بتصرف من أقوال علماؤنا الأفاضل: مقولة صاحب كتاب "كشف الظنون" حاجي خليفة ص439 من كتاب "صفحات مضيئة من التراث الإسلامي "أنور الجندي"، مقولة لمحمد بن موسى الخوارزمي واضع علم الجبر ص52 من نفس الكتاب، من أغراض التأليف ص9 من كتاب "كيف تؤلّف كتاباً مميّزاً": عادل العبد.

3. 3. المصادر المألوفة للأفكار

تتعدد مصادر أفكار موضوعات الكتابة وأهمها:

1. مراقبة الناس و الظواهر.
2. طرح الأسئلة.
3. تأمل المشكلات والأمور المخالفة للنسق والأمور المسايرة له.
4. تتبّع حاجة علمية للمجتمع ومحاولة الإتيان بفكرة تلبيها.
5. النظر في المسكوت عنه.
6. النظر بشكل مختلف.

3. 4. اختبار الفكرة

لاختبار فكرة معينة للكتابة فيها يمكن إجراء ما يلي:

1. كتابة مقال في فكرة الكتابة.
2. مناقشة الفكرة مع المهتمين.
3. تجاهل الفكرة والنظر في استمرار التفكير فيها.
4. إلقاء محاضرة في موضوع الفكرة.

3. 5. أهمية الكتاب

من أهم الأسئلة الواجب طرحها والإجابة عنها هي كيف سيوسّع الكتاب من معرفـة القارئ في الموضوع، أي كم سيضيف للقارئ من معرفة أو استنتاجات أو رؤى؟

3. 6. اختيار العنوان وصفاته

العنوان هو ملخص الكتاب في كلمة أو عبارة قصيرة، لذا يلزم أن يكون معبّراً عـن مجمل الكتاب ومحتواه، ويجب أن يتّصف بما يلي:

1. أن يكون مختصراً بعيداً عن الألفاظ الغامضة.
2. البحث عن السجع المناسب.
3. من الممكن جعل العنوان ذي مقطعين.

3. 7. البحث وجمع المادة العلمية

البحث عن المادة العلمية وتجميعها من أهم خطوات الكتابة، فهي الرصيد العلمي من المعارف السابقة الضرورية للكتابة. والنقاط التالية هامة لهذا الغرض:

1. تحديد أماكن البحث والتجميع.
2. تنظيم عملية البحث والتجميع وتخزين المادة في الحاسب.
3. البحث عن الكتب والدراسات التي تؤيد الفكرة أو تعارضها.
4. يمكن التعرّف على الانتهاء من المادة عندما لا تبدو هناك فكرة جديدة ومهمة في الدراسات وعندما تنتهي كافة التساؤلات.

3. 8. مرحلة الكتابة

3. 8. 1. كتابة المسودّة الأولى

تعتبر كتابة المسودّة الأولى أولى مراحل الكتابة، ومن بداية هذه المرحلة يجب مراعاة ما يلي:

1. وضع مخطط للكتاب: خرائط ذهنية- خطوط عريضة.
2. عادة ما تكون البداية صعبة، لكن يجب البدء دون تردد.
3. يجب تجنب قراءة الغير للمسودة في هذه المرحلة.

3. 8. 2. كتابة المقدّمة

في المقدمة أهمية الكتاب ومنهجيته، ثم استعراض سريع للأبواب والفصول وماهية السمات الرئيسة، بحيث أن من يقرأ المقدمة يعرف ماذا يتناول الكتاب. والقارئ المحترف من يقرأ المقدمة قبل أي جزء آخر، لذا يجب اعتبارها من أهم مكونات الكتاب ومرآته.

3. 8. 3. كتابة الفقرة

يراعى ما يلي عادة في كتابة الفقرة:

1. في الجملة الأولى تُلخّص الفكرة الرئيسة من الفقرة "جملة موضوعية".

2. باقي الفقرة شرح وأمثلة على هذه الجملة.
3. الاستشهاد، وهو من أهم الخطوات.
4. شرح المصطلحات في الحاشية عند الضرورة.
5. عادة ما تأخذ الفقرة نصف أو ثلاثة أرباع صفحة، لكن من المفضل أن تأخذ الفقرة ثلث أو نصف صفحة على الأكثر.

3. 8. 4. الترابط المنطقي للأبواب والفصول

بعد تجربة شخصية طويلة مع التأليف العلمي، توصّلت إلى إحساس بأن التأليف الناجح شبيه بصنع تمثال جميل من معدن نفيس بمنجم كبير، ويتطلب ذلك جمع المعدن بكمية كافية من كميات هائلة من صخور ورمال المنجم- أي توافر المادة- ثم براعة التشكيل والصقل في النهاية. أو يمكن تشبيهه أيضاً بمحاكاة صُنع الحرير الطبيعي، حيث تقوم ديدان القز بالتهام متواصل لكميات يومية كبيرة من ورق التوت حتى تكتنز خلاياها وتصل إلى مرحلة القوة والثراء الغذائي فتبدأ بصنع شرنقتها وتحيطه بخيوط الحرير، التي عادة ما تتكاثف بشدة الغذاء وثراءه، أو كتجميع لقطع لوحة Buzzle وترتيبها في لوحة زاهية متكاملة.

3. 8. 5. التعامل مع الفكرة العصيّة

عند مواجهة فكرة عصيّة يمكن اللجوء إلى ما يلي:
1. تطوير الفكرة.
2. وضعها في ملف للعودة إليها "ملف للأفكار".
3. استشارة أصدقاء أوفياء.

3. 8. 6. كتابة الخاتمة

يراعى في كتابة الخاتمة وجود تلخيص رئيس، أي خلاصة ما قلت، أو آراء للأخذ بها، أي ما هو الواجب عمله.

3. 8. 7. كتابة المراجع

تكتب المراجع عادة بطريقتين رئيستين الأولى: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر أو الطبعة، اسم دار النشر، أرقام الصفحات، الثانية: جعل اسم المؤلف في البداية.

3. 8. 8. الملاحق

قد يتطلب الأمر أحياناً وضع ملحق أو بضعة ملاحق بالكتاب عند الضرورة، كتوضيح تفصيلي لشيء أو أشياء مهمة ورد ذكرها في سياق الكتاب.

3. 8. 9. الصور والأشكال

يُستعان بالصور والأشكال في العرض كضرورة لأمور معينة، كتوضيح أشياء يصعب وصفها في كلمات. أي لابد أن يكون بالصور والأشكال إضافة للكتاب. ويفـضل وضـع الصور والأشكال الملونة معاً في نهاية الكتاب لخفض تكاليف الطباعة.

3. 8. 10. عوائق استمرار الكتابة المرتبطة بالكاتب

هناك أمور قد تتسبب في إعاقة الكاتب تتعلق بذاته يجب الحذر منها والتغلـب عليهـا أهمها:

1. هدر الوقت دون كتابة، أو التوقف لفترة طويلة.
2. الناقد الداخلي، وهو أمر لا يجب الالتفات إليه في كتابة المسودة الأولى.
3. التخوّف من عدم نشر ما كُتب، أو التقليل من القدرة الشخصية.

3. 8. 11. التغلب على التوقف عن استمرار الكتابة

أحياناً ما يتوقف الكاتب عن الكتابة لسبب أو لآخر، وفي هذه الحالة يمكن اللجوء إلـى ما يلي:

1. الانتقال إلى موضع آخر في المؤلَّف.
2. تغيير مكان الكتابة.
3. تغيير وقت الكتابة.

4. القيام بالمزيد من البحث في الموضوع.
5. محاولة الالتزام بكتابة جزء يسير يومياً.
6. الاطلاع على الكتب الجديدة، خاصة ما له علاقة بالموضوع.
7. طباعة ما كتب وقراءته والإضافة إليه بخط اليد.

3. 9. مرحلة المراجعة

تعتبر هذه المرحلة من الأهمية بمكان ولا تقل في قدرها عن الكتابة نفسها، ويراعـى خلال المراجعة اعتبار ما يلي:

1. التأكد من تحقيق الهدف وانعكاسه على الكتاب.
2. التدقيق العلمي واللغوي، ويمكن المعاونة في هذا الشأن من المتخصصين في تلك المجالات عند الحاجة.
3. الإهداء في مستهل الكتاب، وهو أمر يرجع للمؤلِّف، أيضاً شكر من هـو جـدير بذلك فهو عرفان بالجميل ولا يُنقص من قدر الكتاب شيئاً بل يزيده قيمة بما يحمله من سمات وفاء وتقدير وامتنان.

3. 10. أهمية الإخراج

الإخراج خطوة أخرى حيوية في إعداد الكتاب، وفيه يراعى ما يلي:

1. إبراز العناوين الرئيسة والفرعية.
2. ترك فراغات مناسبة في الصفحة لجعل القراءة مريحة.
3. استخدام الطباعة الفخمة ما أمكن، ويفضل نوعية جيدة من الورق.
4. التعامل مع دار نشر أمينة لتجنب المشكلات.
5. عند نفاد الطبعة الأولى، يتم نشر الثانية بعد تطويرها وتصويب الأخطاء إن وجدت وينوه عليها "نسخة معدّلة ومطوّرة" (أحمد، 2013أ).

3. 11. مفردات هامة في الكتابة

هناك عدد من المفردات الهامة تتعلق بعملية الكتابة ينبغي الإلمام بها أهمها:

3. 11. 1. العَـزْو

العَزْو في قوانين حقوق النشر، هو الاعتراف بعمل شخص ما يُستخدم في عمل آخر. والعَزْو مطلوب قانوناً في أغلب رخص حقوق النشر ومنها رخصة جنو للوثائق الحرة ورخصة التشارك الإبداعي.

والعَزْو غالباً هو أول متطلبات الترخيص، فهو يسمح للمؤلف بالتمتع بسمعة جيدة مما يعود بالنفع عليه ويمنع الآخرين من سرقة أعماله. وهو أيضاً نوع من احترام صانع العمل وشكرٌ له، لكن يمكن بالحصول على رخصة من صاحب العمل انتفاء الحاجة لهذا المطلب.

وفي الخارج، لا تطلب قوانين الولايات المتحدة مثلاً العَزْو إلا في الأعمال المرئية "الرسوم والصور"، وإنما تترك العَزْو للمتعاقدين، لكن أغلب القوانين الأوروبية تستوجب العَزْو في الأعمال المحمية، كما تنصح بعَزْو العمل حتى لو انتهت فعالية الرخصة كدليل على احترامها.

3. 11. 2. إعادة الصَـوْغ

إعادة الصَوْغ هي تقديم معلومات نصّ ما بكلمات أخرى، وغالباً ما يُشرح أو يوضّح النص الأصلي، فعبارة "كانت الإشارة حمراء" قد تعاد صوغها إلى "توقف القطار بسبب الإشارة". وتُسبق العبارة المعاد صوغها عادة بكلمة مثل أي أو يعني: "كانت الإشارة حمراء، أي لم يسمح للقطار بالتقدم".

ولا تتطلب إعادة الصَوْغ اقتباساً، لكنها تحفظ المعنى. لذا فأي تفسير لاستنتاج معلومات ليست ظاهرة الوضوح في النص يعتبر بحثاً أصلياً وليس إعادة صوغ. ويعتبر وضع العبارات المعاد صوغها بدون عزو لمصدرها نوعاً من السرقة الأدبية Plagiarism. فالتوثيق، أي ذكر المصدر، مع إعادة الصَوْغ يساعد على تجنب الاتهام بالانتحال أو السرقة الفكرية. وقد تهدف إعادة الصَوْغ إلى تبسيط نص معقّد، أو توضيح بعض المفاهيم، أو إزالة التداخل بين فكرة النص الأصلي وما يعرضه الباحث من أفكار، وذلك على النحو الموضح في الجزء التالي.

3. 11. 3. أهداف إعادة الصَوْغ

. التلخيص: فيمكن حذف كل ما يمكن الاستغناء عنه من ألفاظ، أي إيراد المعني كاملاً بأقل قدر ممكن من الكلمات.

. الوضوح: قد تكون النصوص المقتبسة في تخصص معين ولا تُفهم هذه النصوص من غير المتخصص، ولذلك يعاد الصَوْغ لتبسيط وتقريب النص من غير المتخصصين.

. تجنب العامية: في حالة الحديث باللغة العامية، يجب في أغلب الأحوال إعادة الصَوْغ باللغة الفصحى، إلا في أحوال نادرة ولأسباب مبرّرة.

3. 11. 4. قواعد حول إعادة الصَوْغ

فيما يلي مجموعة قواعد يمكن اتباعها لتسهيل عملية إعادة الصَوْغ:

. محاولة ذكر اسم المؤلف في المتن: "ووفقاً لفلان...، الاقتباس" مع ضرورة ذكر المصدر في الهامش وقائمة المراجع.

. في حالة صعوبة التلخيص: ابعد النص الأصلي وحاول كتابة الفكرة من جديد من ذاكرتك، ثم راجعها مع النص الأصلي.

. تغيير تركيب الجمل والفقرات لدرء شبهة النقل: الفعلية إلى اسمية، الصفة إلى فعل أو ظرف، تغيير عدد أسطر الفقرة، وأسلوب عرض الفكرة المحورية "من البداية إلى النهاية أو العكس". ويضع البعض قواعد في هذا السياق من قبيل ضرورة ألا تتكرر ثلاث "أو خمس" كلمات متتابعة في النص المعاد صوغه مع النص الأصلي.

. إمكانية استخدام علامات التنصيص حول الكلمات أو الفقرات التي لا ترغب في تغييرها (ويكيبيديا، 2013: العَزْو وإعادة الصَوْغ).

4. النشر والتوزيع

النشر هو مجموعة العمليات التي تؤدي إلى إخراج الكتاب من حالة كونه مخطوطاً إلى أيٍّ من أشكال الإخراج الذي يتيح الإفادة منه وتسويقه عملياً وتجارياً.

4. 1. رقم الإيداع

لابد من الحصول على رقم إيداع للكتاب من دار الكتب والوثائق القومية بالعاصمة قبل الطباعة. ويتطلب الأمر تصوير صفحة الغلاف الداخلي ومَهرهـــا بخـــاتم دار الطباعـــة وموافقتها على الطباعة وتسليمها لدار الكتب. وعادة ما يتم الحصول على تـــرقيم دولـــي ISBN لو تم النشر خلال دار نشر معتمدة، أما في حالة النشر بواسطة المؤلّف، أي على نفقته الخاصة، فيصرح بالحصول على رقم إيداع فقط. وبعد الطباعة من الضروري تسليم عشر نسخ من الكتاب لدار الكتب والوثائق القومية خلال فترة زمنية معينة "عـــادة ثلاثـــة أشهر من الحصول على رقم الإيداع".

4. 2. اختيار دار النشر

وهو أمر من الأهمية بمكان. ولهذا الأمر يمكن الاستفسار من ذوي الخبرة في التأليف والنشر للاستدلال على أكثر دور النشر التزاماً وأمانة.

4. 3. أسئلة يطرحها الناشر

النشر بمعرفة دور النشر هو عملية تجارية للدار في المقام الأول، حيث تبغي الـــربح كما تبغي الشهرة. لذا فهناك أسئلة عادة ما يطرحها مسئول دار النشر عند التقدم بالكتـــاب لنشره، خاصة عند التعامل لأول مرة مع الكاتب أو أن الكاتب غير معروف، أهمها:

1. عمّ يتحدث الكتاب؟
2. ما هي فكرة الكتاب؟
3. لماذا أنت من يكتب هذا الكتاب؟
4. لماذا هذا هو وقت الكتاب؟
5. الفئات المستهدفة بالكتاب، ولماذا يرغبون فيه؟ (أحمد، 2013أ).

4. 4. التوزيـــع

يعتبر التوزيع عنصراً هاماً في منظومة استراتيجية التسويق. وتختلف طرق التوزيع كما يلي: التوزيع المباشر: وهو انتقال الكتاب مباشرة من الناشر إلى القارئ من خلال

إحدى الطرق التالية: نقاط البيع المباشر مثل المكتبات التجارية وغيرها من أماكن البيع، المعارض المحلية والدولية، مندوبي المبيعات، البيع بالبريد، البيع عن طريق شبكة المعلومات. أما التوزيع غير المباشر فيتم من خلال الاتفاق مع إحدى شركات أو مؤسسات التوزيع "وتعتبر بمثابة تاجر جملة".

4. 4. 1. الفئات المستهدفة

يعتبر القارئ كفرد هو الهدف الرئيس للنشاط التسويقي والتوزيعي للكتاب. وتتنوع فئات المجتمع المستهدفة "أطفال، شباب، راشدين، كبار السن"، "ذكر، أنثى"، "مستوى الفرد التعليمي والوظيفي والمعيشي"... إلخ.

والقراءة في حد ذاتها إما للدراسة والبحث وإعداد المذكرات والتقارير، أو للاطلاع والثقافة والتسلية، أو للتعليم والتدريب كمنهج أو مرجع علمي، أو لاتخاذ قرار معين أو إجابة على سؤال أو استفسار محدد. وينقسم القراء إلى ثلاثة أقسام: القارئ ذو الدخل المرتفع، القارئ ذو الدخل المتوسط، القارئ ذو الدخل المحدود.

وتعتبر المؤسسات، كالمكتبات بأنواعها والجامعات والمدارس والمعاهد والوزارات والهيئات الأخرى، من الجهات المستهدفة لتسويق وتوزيع الكتاب. ويلاحظ في السنوات الأخيرة قيام أغلب المؤسسات خاصة في الجامعات والوزارات والمكتبات بتقليص الاعتمادات المخصصة لشراء الكتب خاصة لبعض الظروف الاقتصادية.

4. 4. 2. ترويج الكتاب

يعنى تسويق الكتاب بمفهومه العلمي الحديث جميع الأنشطة التجارية "الفنية والتقنية والإدارية" المتعلقة بتوصيل الكتاب من الناشر إلى القارئ. وتعرف التكلفة التسويقية بأنها جميع ما ينفقه الناشر على أوجه نشر الكتاب من إعلان ونقل وتخزين وخصم وغيرها.

ويتأثر تسويق الكتاب بصفة عامة بالعديد من الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقانونية التي تؤثر في حركته، وبالتالى تؤثر على حجم الإنتاج الفكري وتحد من انتشاره. فمثلاً الكثافة السكانية في البلاد ودخل الفرد ومستواه التعليمي والوظيفي وجنسه وفئته العمرية كلها من العوامل التي تؤثر في تسويق الكتاب.

ويعتبر الكتاب وعاء الثقافة والفكر المستنير، وهو خزانة المعارف الإنسانية، ومستودع التجارب البشرية المتراكمة، يحفظها السلف للخلف كي ينطلق منها ويبني عليها في شتى فروع المعرفة.

وتحقق صناعة وتسويق الكتاب في الدول المتقدمة دخلاً كبيراً يفوق بعض الأحيان دخل العديد من الصناعات الأخرى، بينما نجدها في الدول النامية مازالت تحتل موقعاً هامشياً على الخريطة الاقتصادية، ذلك نتيجة بعض الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية السائدة في هذه الدول ومنها كثير من الدول العربية.

وفي الآونة الأخيرة خطى الكتاب العربي بصفة عامة خطوات للعناية به، تأليفاً ونشراً في العديد من كبريات دور النشر العربية، إلا أنه لا يزال يعاني بعض المعوقات التي تعوق تسويقه سواءً داخل الدول العربية نفسها أو خارجها. ومما يلفت النظر ويستحق التوقف عنده كثيراً ذلك الرقم المنخفض لعدد الكتب التي تُطبع من كل عنوان جديد.

ولزيادة ترويج الكتاب، الذي تنوي كتابته، أو توزيعه بالدرجة المتوقعة على الأقل، يتطلب الأمر ما يلي:

1. قدم شيئاً قيّماً، وهذا أمر ينعكس على المؤلف في المقام الأول "الكتاب مرآة المؤلِّف".
2. استفد من التقديم، أي تقديم شخصية مرموقة في مجال التخصص لو أمكن ذلك.
3. اجعل الغلاف معبّراً وجذاباً، ويمكن الاستعانة في ذلك بمكاتب متخصصة عند الضرورة.
4. اهد نسخاً لبعض الكتّاب المهتمين.
5. استفد من وسائل الإعلام.
6. استفد من ظهر الغلاف.

5. حماية الحقوق الفكرية

5. 1. حقوق النسخ

حقوق النسخ Copyright هي مجموعة من الحقوق الحصرية Exclusive rights التي تنظّم استعمال النصوص أو أي تعبير عملي "فني، أدبي، أكاديمي" عن فكرة أو

معلومة ما، أي أنه حقوق نسخ واستخدام عمل إبداعي جديد. وتشكل هذه الحقوق نوعاً من الحماية للمبدع ليتقاضى أجراً عن إبداعه لفترة محددة تختلف باختلاف البلد. فوفق قوانين الولايات المتحدة تبقى الأعمال الإبداعية محفوظة الحقوق بشكل عام طيلة حياة المنتج وسبعين عاماً بعد ذلك. وتدخل الأعمال التي تنتهي مدة حمايتها الفكرية ضمن ما يسمى ملكية عامة فتصبح في متناول استخدام الجميع.

ويعود مصطلح "حقوق النسخ" في أصله إلى القانون الأنجلو- سكسوني، ولذلك فهو السائد في البلاد التي تسود فيها الإنجليزية كالولايات المتحدة. وهو مصطلح لا يقيم اعتباراً لحقوق المؤلف في العَزْو أو في عدم تشويه أو تغيير عمله، لأن قانون حقوق النسخ في تلك البلدان نشأ وتطوّر بضغط من الناشرين وليس من المؤلفين.

5. 2. حقوق التأليف

يقابل حقوق النسخ في التراث القانوني الأوروبي- وخصوصاً الفرنسي- ما يعرف بحقوق التأليف أو "حقوق المؤلفين" droit d'auteur، ويعكس حرصاً على حماية حقوق المؤلف في أن ينسب عمله إليه وألا يُستغل بغير إذنه "حقوق أخلاقية" Moral Rights.

ولأن معاهدة بيرن، وهي الاتفاقية الدولية الرئيسة المعنية بحقوق النسخ، والتي نشأت في أوروبا ولم تنضم إليها الولايات المتحدة إلا في وقت متأخر، تحتم على الدول احترام حقوق المؤلفين الأخلاقية مثل حق العَزْو. وقد رفضت الولايات المتحدة عند انضمامها لمعاهدة بيرن أن تعدّل قانون حقوق النسخ لديها ليشمل الحقوق الأخلاقية، بحجة أن تلك الحقوق محمية أصلاً في القانون الأمريكي بطرق أخرى.

5. 3. مجال الحماية

كان مفهوم حقوق النسخ أو التأليف في بداياته معنياً بحماية حقوق مؤلفي الأعمال الأدبية والفكرية "أي حقوق الكتّاب"، لكنه الآن يستوعب مجالات أخرى واسعة. فمعظم الدول تعطي حقوق النسخ في الأعمال الموسيقية والدرامية والسينمائية والفوتوغرافية، وكذلك الفنون الجميلة من رسوم ونحت وغيرها، والأعمال المعمارية "من الجانب الفني أو الجمالي فقط"، وبرامج الكمبيوتر وتصاميم الأزياء.

من أهم مبادئ حقوق النسخ أنها لا تحمي الأفكار، وإنما تحمي تعبير المؤلف عن الأفكار. فمثلاً لو اكتشف أحدهم نظرية فيزيائية، فإنه لا يستطيع أن يُخضع النظرية لحقوق النسخ، لكن لو ألّف مقالاً أو كتاباً يشرح فيه النظرية، فإن نص المقال أو الكتاب يصبح خاضعاً لحقوق النسخ.

ويزداد الأمر تعقيداً في مسألة الصور والرسوم. فمثلاً خَلْق نسخة طبق الأصل من صورة فوتوغرافية لمنظر معين "عن طريق ماسح ضوئي مثلاً" هو خرق لحقوق النسخ، لكن محاولة تصوير نفس المشهد من قبل شخص آخر ليس خرقاً لحقوق النسخ. لكن عندما يبذل المصور جهداً لتصميم المشهد بنفسه "كاختيار كمية الضوء ولون الخلفية وترتيب أجزاء المشهد"، فإن محاولة مصور آخر أن يصنع مشهداً مشابهاً ويصوره بنفسه قد يصبح خرقاً لحقوق النسخ.

وكذلك لا تحمي حقوق النسخ الجوانب العملية أو العلمية، وإنما تحمي الجانب الفني أو الجمالي، أو طريقة التعبير. وتأتي أهمية ذلك في مجال برامج الكمبيوتر والهندسة المعمارية والتصنيع. فلو اخترع مهندس جهازاً ما فلا يمكنه أن يحمي اختراعه بحقوق النسخ، وإنما عليه أن يلجأ إلى براءة الاختراع، ولكن لو قام بتصنيع اختراعه بشكل ما، فإن الجوانب الجمالية التي لا علاقة لها بعمل الجهاز قد تخضع لحقوق النسخ. أيضاً لو كتب أحدهم برنامج معالج نصوص، فإنه لا يخضع لحقوق النسخ، كذلك لا يمكنه الحصول على حقوق النسخ في برامج معالجات النصوص عموماً، لكن التصميم العام واختيار الألوان وغيرها من الأمور التي تخضع للذوق الشخصي وما شابه قد تصبح محمية بحقوق النسخ.

5. 4. الحقوق الحصرية

هناك حزمة من الحقوق الحصرية هي:

. حق النسخ "أو حق إعادة الإنتاج": وهو لا يقتصر على إعادة نسخ أو إنتاج كامل العمل، وإنما يكفي لخرق هذا الحق نسخ أو اقتباس جزء صغير جداً من العمل في بعض الأحيان "مثل صفحة من كتاب أو مشهد من فيلم". في القانون الأمريكي يُسمح بنسخ جزء من العمل تحت ضوابط معينة ضمن مفهوم الاستخدام العادل.

. حق الاشتقاق "أو حق التكييف": ويعني إنتاج عمل جديد مبني على العمل، مثل تحويل رواية إلى فيلم، أو ترجمة كتاب، أو تحويل كتاب مقروء إلى كتاب مسموع، أو تجميع اقتباسات من أعمال مختلفة ووضعها في عمل واحد، أو استخدام شخصيات من رواية في تأليف رواية جديدة.

. حق النشر أو التوزيع: أي بيع نسخ من العمل بشكل تجاري، أو توزيعها على العامة بشكل غير تجاري.

. الحقوق الأخلاقية "أو حقوق التأليف": وتعني حق المؤلف في أن يوضع اسمه على العمل، وأن لا ينسب العمل إلى مؤلف آخر، وأن لا يتعرض العمل للتشويه أو التغيير. وهو من العلامات الفارقة بين قوانين الملكية الفكرية الأوروبية ونظيرتها الأمريكية، إذ لا تعترف الحكومة الأمريكية بمثل هذه الحقوق ضمن قانون حقوق النسخ إلا في مجال الصور والرسوم، ولكن القانون الأمريكي يحمي هذه الحقوق من خلال قوانين أخرى كقوانين المنافسة التجارية.

يستطيع مالك حقوق النسخ أن يجمع الرسوم من مستخدمي العمل، كأن يحصل مؤلف أغنية على رسوم من محطات الإذاعة مقابل بثها لأغنيته. ويمكن لمالك حقوق النسخ أن يبيع الحقوق كاملة لشخص آخر "قد يكون الشخص الآخر شركة"، أو أن يهدي أو يبيع الرسوم التي يحصل عليها من هذه الحقوق إلى شخص آخر. لكن يمكنه أيضاً أن يبيع الحقوق أو يعطيها للآخرين بشكل مجزّأ، وتسمى في هذه الحالة رخصة أو ترخيص. وتكون الرخصة إما حصرية أو غير حصرية. فيعطي مثلاً لشخص ما رخصة اشتقاق، ولشخص آخر رخصة عرض، ولشخص ثالث رخصة توزيع. وفي كثير من الأحيان لا يمكن سحب الرخصة الحصرية إلا تحت شروط معينة.

5. 5. التعدّي على حقوق النسخ

في العادة ما يسمى التعدّي على حقوق النسخ بالخَرْق، ويسمى أيضاً التعدي أو التجاوز Infringement. وتتم معالجة الخرق باللجوء إلى القضاء المدني في الأغلب، فإما أن يمنع القضاء الشخص المتعدي من مواصلة المخالفة، أو أن يفرض عليه تعويضات مالية يؤديها إلى صاحب الحقوق، أو الاثنين معاً. وفي السنين الأخيرة تمت إضافة العقوبات

الجنائية إلى قانون حقوق النسخ بضغط أساس من شركات تسجيل الموسيقى نظراً لانتشار ظاهرة تبادل الملفات عبر الإنترنت. ولكن العقوبات الجنائية لا تُفرض في العادة إلا في حالات النسخ التي تتم على نطاق واسع بهدف التوزيع على عدد كبير من الناس.

ويشترط في الخرق أو التعدي حصول نوع من النسخ الفعلي، بمعنى لو وصل شخصان إلى نفس التعبير بشكل مستقل، فلن يوجد خرق ما دام ليس هناك ما يثبت أن أحدهما رأى عمل الشخص الآخر. ولكن هذا لا يعني اشتراط النية أو العلم لحدوث التجاوز، فاستعمال نسخة غير مرخصة من برنامج كمبيوتر دون علم بمخالفتها لحقوق النسخ لا يعني بالضرورة حصانة المستخدم من التبعات القانونية. ويوجد في القانون الأمريكي مفهوم "المتعدّي البريء"، لكنه لا ينطبق إلا في حال أهمل صاحب العمل وضع إخطار بحقوق النسخ على أعماله.

ولا يشترط نسخ العمل كاملاً لحدوث خرق، فطباعة فصل أو حتى صفحة من كتاب بدون إذن صاحب الحق يعدّ خرقاً في أغلب الأحيان، وكذلك عرض مقطع من فيلم. كما أن القيام بعمل ما بناءً على عمل آخر قد يكون خرقاً، ويسمى ذلك بالاشتقاق Derivation. من الأمثلة على الاشتقاق أخذ صور ثابتة من فيلم ونشرها، أو تحويل رواية إلى مسرحية، أو ترجمة كتاب من لغة إلى أخرى، أو استخدام شخصيات من رواية في كتابة رواية أخرى. أيضاً القيام بعمل مشابه للعمل الأصلي بشكل كبير قد يشكل تعدياً على حقوق النسخ.

5. 6. مدة حقوق النسخ

تتفاوت مدة حقوق النسخ حسب الدولة، ولكن الاتجاه العام هو توحيد المدة من خلال اتفاقيات منظمة التجارة العالمية. وحالياً تنص الاتفاقيات على أن لا تقل مدة الحماية في الدول الأعضاء عن حياة المؤلف وخمسين عاماً بعدها، والمدة الأكثر شيوعاً هي حياة المؤلف مع سبعين عاماً.

في القانون الأمريكي، تتفاوت مدة الحقوق حسب الفترة التي أنتج فيها العمل "قبل عام 1978 أو بعده"، ولكن الأعمال الجديدة تخضع لحياة المؤلف وسبعين عاماً. إذا كانت

حقوق النسخ مملوكة لشركة أو كان المؤلف مجهولاً تصبح المدة 95 عاماً بعد النشر أو 120 عاماً بعد الإنتاج، أيهما أقل.

والأعمال التي تنتهي مدة حمايتها تدخل ضمن ما يسمى الملكية العامة فتصبح في متناول استخدام الجميع. وبعد دخول العمل في الملكية العامة، لا يشترط قانون حقوق النسخ الأمريكي العَزْو إلى صاحب العمل حين إعادة استخدام العمل، أما القوانين الأوروبية فتنصح بالاستمرار في العَزْو حتى بعد انتهاء مدة الحماية حفاظاً على حقوق المؤلف.

5. 7. التراخيص الحرة

نتيجة تزايد حقوق الطبع والأجور المتقاضاة عنها في الولايات المتحدة، نشطت حركات تدعو إلى إتاحة المعرفة للجميع عن طريق وضع الأعمال الإبداعية تحت رخص تسمح بحرية الاستخدام غير التجاري. أهم هذه المنظمات تدعى "جنو" صاحبة رخصة جنو للوثائق الحرة السابق الحديث عنها، ومؤخراً ظهرت منظمة التشارك الإبداعي (ويكيبيديا، 2013: حماية الحقوق الفكرية: حقوق التأليف والنشر).